أزيح الرجل عن عرشه... والمستقبل للمرأة

حوار مع الكاتبة الفرنسية مرغريت دورا

بقلم
سوزان هسرل كايت
ترجمة : أحمد عمر شاهين

مقدمة :

مارغريت دورا الروائية والمسرحية وكاتبة السيناريو الشهيرة ، توضع تجاوزا ضمن كتاب الرواية الجديدة ، لارتباطها معهم في التمرد على الرواية التقليدية ، كتاب مثل الان روب جرييه ونتالي ساروت وكلود سيمون ، حيث ان لكل منهم اسلوبه ورؤيته الخاصة .

مارغريت دورا من اشهر كتاب فرنسا في الوقت الحاضر ، وقد استطاعت ان تحقق سمعة ادبية ممتازة بين النقاد ، واعجابا جماهيريا واسعا بين القراء . ولدت في الهند الصينية ١٩١٤ ، وجاءت الى فرنسا في سن السابعة عشرة ، بدأت الكتابة في حوالي الخامسة والعشرين من عمرها بكتابة الرواية بشكلها التقليدي قبل ان تبتدع لها خطا خاصا بها. بعد سنوات من ممارستها الكتابة الروائية اضافت الى نشاطها الكتابة الى المسرح ، ثم كتابة سيناريو وحوار الافلام ، وكذلك قامت باخراج بعض مسرحياتها على المسرح ، من اهم مؤلفاتها الروائية :

ـ قنطرة في مواجهة الباسيفيك ١٩٥٠.
ـ الحديقة العامة ١٩٥٥
ـ موديراتو كانتابل ١٩٥٨ وقد صدرت لها ترجمة بالعربية عن وزارة الاعلام بالعراق ، وكذلك قامت باعداد هذه الرواية الى السينما بنفسها .
ـ الساعة العاشرة والنصف مساء ذات صيف ١٩٦٠ .
ـ قالت : دمر ١٩٦٩ وقد اعدتها للسينما وقامت باخراجها بنفسها .

ومن اهم مؤلفاتها المسرحية : طريق لاسين ـ ايواز ١٩٦٠ ، مياه وغابات ١٩٦٥ ، اخرجت عدة مسرحيات لها منها : (نعم ، ربما) و (شاجا) ، كتبت حوار عدة افلام اهمها فيلم (هيروشيما حبيبي) وقد ترجم هذا الحوار الى العربية ونشرته دار الاداب البيروتية ، كتبت عدة سيناريوهات اهمها سيناريو فيلم (الموسيقى) .

المقدمة المنشورة قبل الحوار بقلم مجرية الحوار : سوزان هسرل كايت ، والحوار نشر في مجلة Sign الامريكية الفصلية في العدد الثاني من المجلد الاول شتاء ١٩٧٥ .

ورؤيته الخاصة .

ومارغريت دورا التي كتبت ست عشرة رواية وثلاث عشرة مسرحية وستة سيناريوهات خلال الثلاثين سنة الماضية ، تعتبر علامة بارزة في هذا المجال . ففي السنوات الاخيرة ، وبالتحديد منذ تمرد العمال والطلبة ١٩٦٨ والذي بلور القلق الفرنسي وعبأ السخط ، اتخذ عمل دورا اتجاها سياسيا جديدا . وعنوان روايتها التي صدرت ١٩٦٩ (قالت : دمر) له مغزى في هذه الناحية ، فتدمير النظام القديم هو ما تسعى دورا لتحقيقه في ادبها كما في آرائها السياسية . ولقد دفع تأثر دورا بالحركة النسائية ، الى ان توسع من تصورها عن المضطهد ، وان تواجه قضايا كانت في السابق قادرة على تجاوزها وتجاهلها .

انها ترى ان القوى التي يجب اسقاطها الان تشمل سيادة الرجل باعتبارها تلحق ضررا مميتا بالمرأة ، من حيث سيطرته الفكرية والشعورية والقضائية والابتكارية ، وأيضا ضغوطه الاقتصادية والسياسية على المرأة .

وما تحاوله دورا في ادبها ، هو تحطيم علم الاخلاق الذكوري ، ولم تعد فخورة بما قاله النقاد عنها في بداية حياتها الادبية ، من انها تكتب « كرجل » ، فهي ترى الان ان هذه سمة يجب ان تبرأ منها .

وفي الحقيقة فهي تقوم بجهد واع في كتاباتها لتتخلص من كل ما تعلمته من الرجل من قواعد ونظريات وتكتيك ، لتخلق فنا يلغي منطق الرجل التقليدي ، ويدحض نظامه الفلسفي والسياسي القائم .

وقد نبذت دورا الخواص الوصفية والتحليلية القائمة على سرد الاحداث وفقا لتتابعها ، لاسلوبها المبكر ، منذ روايتها « خيول تاريكوينا الصغيرة ١٩٥٣ » في سبيل اسلوب موح ، شاعري ، مزدر للتسلسل الزمني (كما في اغتصاب لول ف . شتاين) .

فرواية مثل « قنطرة في مواجهة الباسيفيك » ذات العقدة المدروسة جيدا ، والمحكمة البناء ، افسحت الطريق لابداع ذي جو متدفق اصيل ، كما في رواية « موديراتو كانتابل » .

وأداتها الاولية في خلق ذلك الجو، هي استخدام الايقاع، الذي يجعل القارىء يرجىء احكامه النقدية ، ليدخل في عالم الابهام الذي تخلقه . انها تكتب بما تعتقد انه جوهر المرأة ، ذلك الجزء منها الذي يتعلق بألمها وفرحها وتطلعاتها .

وفي هذه المقابلة ، تتحدث دورا عن الابداع الفني وطبيعة عالمها الروائي ، والذي تراه كمقدمة لرؤية انثوية كاملة .

هناك عدة عناصر مربكة في تعليقاتها — التي يعوزها التناغم الشعري الموجود في رواياتها — قد يكون في نقاشها توضيح لها .

أولها الاصطلاحات التي تستخدمها دورا ، فهي تستخدم الكلمات المألوفة بطريقة شخصية ، عويصة الفهم ، غير مألوفة . والمهم ، ان الكلمات التي تؤرقها هي التي تتحمل هذا التحول في معانيها . من بين هذه الكلمات الاكثر دلالة : العصاب ، الجنون ، الذكاء ، الصمت ، والغموض .

فهي ترى ان العصاب والجنون ، كلمتان تعبران عن قوة ايجابية ، تقترب من الطبيعة ومن النفس التي تتجنب كل ما يبدعه الرجل من نظريات عقيمة ، وحقائق تافهة ومعرفة غير متصلة بموضوعها . اما تصورها للذكاء ، فهو واضح ، فحينما تستخدمه بمعنى سلبي فهي ترجعه الى الذكاء الانثوي المثمر المتأصل في المرأة . اما اصطلاحات كالصمت والابهام فهي في رأيها ذات صلة بالعصاب ، وهما — الصمت والابهام — يصفان الحالة التي توجد عليها النساء الان .

فبسبب الضغط الواقع على المرأة ، والقعقعة المصمة للاذان التي يقوم بها الرجل في تشويهه للحقيقة — والتي لم تصبها بالذهول بعد — ولمقدرتها على الانجاب ، فقد تحولت الى عالمها الداخلي ، واصبحت على انسجام مباشر مع نفسها ، وفقدت — بالتالي — مقدرتها في التعبير عن هذه النفس .

ومصدر آخر قد يكون سببا للبس في هذه المقابلة ، هو ورود خمسة تعبيرات توحي بالتناقض عند النظرة الاولى :

١ — كل النساء عصابيات .
٢ — النساء يعرفن ما يردن .
٣ — النساء لم يستخدمن ذكاءهن او صمتهن .
٤ — النساء في حالة سيئة غير طبيعية .
٥ — يجب على النساء ان ينزعن انفسهن من صمتهن .

وبسبب عصابية النساء ، فانهن بمجرد ان يلتقين يعرفن حدسا ما يردن ، ومع أن بعض النساء ينكرن صمتهن ، ويرضين بمعايير الرجل ، ويدخلن في منافسة معه ، فانهن برفضهن ذكاءهن ينكرن طبيعتهن الخاصة .

ما تريده دورا هو ان تخرج المرأة عن صمتها لا برفضه ولكن بمعرفة انه مصدر قوتها ، يجب ان تعبر عنه فنيا وسياسيا لتضع القواعد التي تأخذها كمعيار تحكم به على كل شيء بما فيه عالم الذكورة .

والعنصر المربك الاخير في الحوار هو نظرة دورا المتساوية للضدين في موضوع الامومة ، والذي تسميه « الاشراك الوهمية للامومة » . فالامومة بالنسبة للمرأة هي فقدان ايجابي للشخصية ، تربط المرأة في تيار الحياة الابدي ، وهي تحد من الحرية التي تطالب المؤلفة المرأة ان تصر عليها للتعبير عن نفسها .

ولكن اليس هناك استحالة في التوفيق بين الحرية والامومة ؟

ربما على المستوى العملي المنطقي — الذي لا تلقي اليه دورا بالا — توجد هذه الاستحالة . ولكن بالاصغاء الى اعماق المرأة ، نحس ان دورا قبلت هذا التناقض ، وتعمل لاخذ حريتها من خلاله . والحقيقة ان التناقض جزء مكمل لفن دورا ، فالتناقضات تربكنا ، وتحبطنا ، وتحنقنا .. لتنعش بحثنا عن حلولنا الذاتية .

والتساؤلات التي تثيرها اجابات دورا تشكل جزءا هاما من الحوار بنفس درجة اجاباتها . لكن لو تصرف الناس على أساس من غرائزهم وعواطفهم — كما تريدهم — الا يقودنا ذلك الى الخراب والفوضى ؟

واذا ازيحت كل الاكاذيب التي تحيط بعالم الرجال ، واستطعنا ان نكشف حقيقة انفسهم ، فماذا يمكننا ان نجد؟

واذا تصرفت النساء بدون فكر منظم ، فكيف يمكنهن ان يصبحن صاحبات فكر وفلاسفة وما شابه ؟ بغض النظر عن رأينا في مسلمات دورا ، فالقبول بالصمت الذي تراه انثويا بطبيعته ، سيسمح لنا بامتحان مسلماتها هذه ، وربما نتفهم الطبيعة البشرية بطريقة جديدة غير متوقعة .

في اجابتها عن طبيعة الادب الانثوي قالت دورا :

دورا : اعتقد ان « الادب الانثوي » أدب معبر ، قائم بذاته ، ينبع من طبيعة المرأة العضوية وينقل عن الحياة الغامضة المبهمة التي عاشتها وتعيشها المرأة منذ قرون . ان النساء لا يعرفن انفسهن ، واذا عرفنها فهي معرفة سطحية . وحينما تكتب المرأة فانها تعبر عن هذا الظلام الذي يغلف حياتها .

— اكثر من الرجال ؟

دورا : الرجال لا يعبرون عن المرأة . انهم يبدأون كتاباتهم من منطلق نظري محدد ومدروس ، اما حينما تكتب المرأة فانها ، حقيقة ، تعبر عن حياة مجهولة للرجل بطريقة جديدة للتواصل ، لا بلغة مكونة وجاهزة . ولتحقيق ذلك يجب ان نبتعد عن انتحال اساليب الرجل . هناك كثير من النساء يكتبن بطريقة يعتقدن انها الطريقة التي يجب ان يكتبن بها .. ان يقلدن الرجال ويأخذن لهن مكانا في عالم الادب .

فكوليت كانت تكتب كفتاة صغيرة ، متمردة ، مزعجة ومبهجة . وهكذا فقد كتبت ادبا انثويا كما يريده الرجال ،

وفي الحقيقة فان ذلك ليس ادبا انثويا . انه ادب انثوي معترف به من الرجل لانه مكتوب من وجهة نظره . انهم الرجال الذين يستمتعون به عندما يقرأونه . اني اعتقد ان الادب النسائي ادب شديد الانفعال ، مباشر ، ولكي نحكم عليه ، يجب علينا — وهذه هي النقطة الاساسية التي اود التركيز عليها — الا نبدأ مرة ثانية من منطلق نظري مسبق . لقد قلت لي قبل الحوار « ولكن المرأة يمكن ان تكون منظرة وفيلسوفة وشاعرة الخ الخ .. » بالطبع .. بالطبع ولكن لماذا نبحث الامر بهذا الشكل . ان هذا امر طبيعي . يجب علينا ان نقول العكس ، وهو هل يستطيع الرجال نسيان كل شيء وان ينتسبوا للنساء كما تنتسب النساء لهم الان ؟

— يجب ان يحاولوا ...

دورا : تلك هي المشكلة .. يقول الشاعر الزنجي « ايميه سيزار » في مقالته « في السياسة » حينما يكون هناك شخص قمحي اللون يتساءل الناس دائما اذا كان لون دمه او دمها اسود ولكنهم لا يتساءلون ابدا عن امكانية ان يكون له او لها دم ابيض . وحينما نقابل رجلا امامنا من الممكن ان نسأل : هل توجد فيه بعض الصفات الانثوية ؟ من الممكن ان تكون تلك هي النقطة الرئيسية . اقلبي كل شيء بما فيه التحليل والنقد . اقلبي كل شيء ، واجعلي من المرأة نقطة الانطلاق في الحكم على الاشياء . اجعلي الظلام نقطة الانطلاق للحكم على ما يسميه الرجال ضوءا ، اجعلي الغموض نقطة الانطلاق للحكم على ما يسميه الرجال وضوحا .

— ما يثير اهتمامي ان خلف كل هذا يبدو انك تعتقدين ان هناك طبيعة ذكرية خاصة واخرى انثوية خاصة .

دورا : اعتقد ان ذلك محتمل . ولكن كيف لنا ان نعرف ما دمنا لم نصل الى ذلك بعد ؟ . انه شيء دقيق لا يمكن ادراكه بسهولة .

— وعلاوة على ذلك .. فان كل شخصياتك النسائية متطورة ، مستقلة ، حذرة ، نشطة ومتمردة ، بينما كل شخصياتك المذكرة ثابتة ، غير مستقلة ولا واعية وسلبية .

دورا : لان المرأة هي التي تتكلم وهي التي تقرر ، اعني ان ما يظهر في افلامي هو لغة المرأة وفعل المرأة . ويضطر الرجال الى اللحاق بها ويفعلون كل ما في استطاعتهم ولكنهم يتخلفون عن الركب . انها بداية لعالم معكوس المبادرة فيه للمرأة .

— ولكن طريقة تقديمك للرجال والنساء يبدو انها تشير الى تحديك لقواعد الجنس المتعارف عليها . فنساؤك اكثر ذكورة تبعا للتعريف التقليدي .

دورا : لا .. ان نسائي لسن اكثر ذكورة .

— انهن نشطات ومستقلات .

دورا : الذكورة بالنسبة لي هي السلطة .

— حسنا .. ان نساءك لا يملكن السلطة ولكنهن يملكن القوة النابعة من احساسهن بأنهن هن اللواتي ينظمن ويحكمن حياتهن في حدود العالم غير المتغير الذي تضعيهن فيه .

دورا : انهن لم يغيرنه بعد ولكن سيفعلن .

— ما يثير الاعجاب في شخصياتك النسائية انهن يعملن ويكافحن رغم ادراكهن ان جهودهن لن تغير شيئا .. بينما شخصياتك المذكرة — على العكس — تقر بعجزها . يبدو لي ان هناك تناقضا في خلق مثل هؤلاء النسوة الايجابيات القويات في رواياتك وبين اعتقادك بان جوهر المرأة هو في ارتدادها الى الجانب الباطني الخصب والعميق في ذاتها ؟

دورا : انا لا ارى اين تجدين هذه الايجابية . صحيح ان النساء تحتل كل جزء من افلامي .. لكنهن هناك ليس الا .

— انا لا اتكلم عن افلامك .. بل عن رواياتك .

دورا : حتى في الروايات ..

— في رواية « الحديقة العامة » مثلا ، نرى التناقض بين سلوك الرجل والمرأة ، فالمرأة تصر على تغيير مصيرها وتعمل لتحقيق ذلك ، بينما الرجل يستسلم لليأس وعدم الحركة بعد ان ينعي سلبيته ويعبر عن اعجابه لتصميمها . وفي تفسيرها لموقفه فانها تقول له « ربما لانك تود التغيير بدرجة اقل جذرية مما اريد .. وفيما يتعلق بي فان لدي شعورا بأني اريد ان اغير كل شيء من البدأ .. من الصفر » .

وفي رواية « موديراتو كانتابل » فان « آن » هي التي تدير الحوار والفعل في الرواية . وشوفين يلاحقها وان كان يفعل ذلك بصعوبة . اني افكر في ذروة الرواية ، اكتمال الفعل تجاه ما تستقطبه الرواية ككل ، ان آن هي التي تقوم بالايماء الى كل ما لم يستطعه شوفين . فهي ، مرتضية بالخوف الذي شله ، اخذت على عاتقها تحمل انحرافهما ، ثم تركته جالسا عاجزا لا يتحرك . « وضربت يد شوفين الهواء وسقطت ثانية الى جانبه » .

دورا : وأيضا في رواية « قالت : دمر » يحدث ذلك .

— فعلا .. فأليز هي التي تدير الفعل . ولكن هناك اختلاف صغير ، فان شتاين يدير الامور بطريقة غير مباشرة .

دورا : ولكن شتاين خنثى .

— وفي رواية « بحار من جبل طارق » فان « آنا » هي التي تسافر من مكان الى اخر باحثة عن عشيقها ، بينما الراوي — الذي لم يسم ابدا — يتبعها دون ان يعرف الى أين او الى متى او حتى لماذا ...

وفي « قنطرة في مواجهة الباسيفيك » ..

دورا : انها الام هذه المرة .

— ليس فقط الام .. ولكنها سوزان ايضا التي تفاجئنا باستقلالها وبالدور الايجابي الذي تلعبه في

حياتها . فخلال الكتاب كله نجدها تنتظر رجلا يستطيع ان يأخذها بعيدا عن السهل البائس الذي تعيش فيه واخيرا حينما يأتي — قرب النهاية — ويسألها ان تتزوجه فانها ترفض بحجة ان عليها ان تغادر المكان وحيدة وعلى مسؤوليتها الخاصة . وتركته لتذهب الى حيث لا يعرف احد ولكن في سبيل الاحسن . اما هو — الرجل — فيبقى في السهل ليحيا حياة هزيلة . ولقد كان من الطريف ان شقيقها جوزيف كان ينتظر ايضا امرأة تأخذه بعيدا عن السهل ، وحينما جاءت بعربة فاخرة ونقود كثيرة فانه لم يقل لها « لا » بالطريقة التي قالتها سوزان ، وانما ذهب معها حاصلا على كل ما يريده من خلالها . فالتناقض بين الاخ والاخت واضح لا يحتاج الى كلام .

دورا : انها القوة ... اذا احببت ان تسميها كذلك . قوة المرأة . ففي كتبي وافلامي للمرأة قوة لا ارادية تقريبا ، هذه القوة هي المرأة ، قوة غير مستقاة من احد ، انها هي المرأة . انه الفرق بين « الكينونة الفعلية » و « المظهر » ، انها القوة التي تتصرف مباشرة .. تؤدي وظيفتها مباشرة ، فالمرأة تسير في الحدث قدما دون برمجة او تخطيط .

— يبدو غريبا ان تكون كل قوة في المرأة غريزية ونابعة من كيانها العضوي .. انت متطرفة احيانا وتقليدية احيانا اخرى .. يبدو لي انك ذات فكر متخلف .

دورا : ولكن لماذا لا نكون كذلك ؟ انت تقولين ان كل ذلك تقليدي ومتخلف ، حسنا ، فلنقل اذن انه لا يجب ان يكون كذلك وان الفعل في الرواية يجب ان يكون متوافقا مدروسا متصورا هادفا ومخططا له .. عندئذ تقعين في دائرة اخلاقيات الرجل .. ثم لا تجدين طريقة للخروج منها .

— هل المرأة دربت ان تتصرف طبق نظام خاص بها ام ان ذلك تصرف طبيعي فيها بسبب تركيبها البيولوجي ؟

دورا : لا استطيع ان اعرف بالتأكيد ما هي عليه الان .

— لكن تعرفين ما يمكن ان يصرن اليه ... اليس من الممكن ان يكون ذلك متعلقا بتركيب المخ .. او انك لا تشبهينهن في ذلك ؟

دورا : اعرف اني حينما اكتب ، فان هناك شيئا في داخلي يوقف العمل الوظيفي ، يصبح صامتا ، واترك نفسي لشيء يسيطر علي من داخلي ، من المحتمل انه يفيض من الطبيعة الانثوية .. يوقف كل شيء .. الطريقة التحليلية في التفكير .. التفكير الذي غرسته في نفسي دراستي في الكلية وقراءاتي وتجاربي . انا متأكدة تماما مما اقوله لك الان . احس كأني اعود الى بلد متوحش ، لا شيء منسجم . ربما بسبب انني وقبل كل شيء وقبل ان اكون دورا ... انني ببساطة امرأة .

— ولكن ... المؤلفون من الرجال ..

دورا : هل سبق ان رأيتهم وهم يكتبون ؟ انهم عادة يبدأون الكتابة من مخطط تمهيدي .. انهم يعرفون الى اين يذهبون .. انهم يشيدون .

— لكن الشعراء يختلفون عن ذلك ... ربما بسبب انهم يملكون ما تسمينه بالعقل الانثوي .

دورا : نعم .. الشعراء عندهم احساس انثوي . في الشعر لا تكون هناك فواصل بين الرجال او النساء . ولكن الا يستطيع المرء ان يقول بأن كتبي اكثر موسيقية وشاعرية من كتب اولئك المثقفين ؟ — ومع ذلك فهناك — لا يزال كثير من امعان الفكر في تأليفها .

دورا : يوجد .. ولكنه اقل بكثير مما يوجد عند الرجل .. هناك فكر ولكنه في الخلفية . لقد دفع به خلف الحدث .

— لم نتحدث عن الوعي ، وذلك هام جدا .. ان شخصياتك النسائية واضحة ، واعية بكل شيء .. وشخصياتك المذكرة غير واعية بأي شيء ..

دورا : لا .. انها واعية بالنساء فقط .

— وايضا بالحياة وامكانية تغييرها ..

دورا : صحيح ... ولكنهم فقدوا رؤية انفسهم . بالضبط كما يحدث حينما نكبر وننسى الطفل الذي كناه يوما ما ، واصبحنا لا نعرف عنه شيئا . اصبح الرجال ضائعين بالطريقة نفسها ، اما المرأة فهي لا تعرف ماذا كانت لانها لم تكن شيئا سوى الظلام .. فهي ليست ضائعة وراء عالم الرجال توجد الاكاذيب ويوجد تشويه الحقيقة .

— لكن الرجال على الاقل يعرفون العالم الذي يعيشون فيه ، واعين بكل ما يحيط بهم . بينما نجد في روايتك « الحديقة العامة » مثلا ان الرجل غير واع تماما .. يعيش بلا تساؤل .. بينما المرأة من ناحية اخرى تبدي صرامة غير عادية لمعرفة الحياة .. انها تقول له : « اذا كانت الحياة غير سعيدة .. فاني اريد ان اتعلم ذلك بنفسي .. اتفهم ؟ بنفسي وحتى النهاية وعلى اكمل وجه استطيعه .. ثم .. حسنا .. سأموت وانا افعل ما اريد .. وسيكون لموتي معنى » .

دورا : « الحديقة العامة » رواية سياسية تماما .. بمعنى انها تعرض وجهتي نظر تتصارعان .. المنطق الماركسي الشجاع و .. منطق الجبن ..

— ولكن الذي يحدث ان الشجاعة تقدم عن طريق المرأة والجبن عن طريق الرجل .

دورا : وهل تعتقدين ان البائع المتجول في الرواية من الممكن ان يكون امرأة ؟

— ذلك ممكن .. لكنك في هذا تختلفين .. وهنا يبدو تصورك الثوري للمرأة . اعتقد ان كاتبا عاديا كان من الممكن ان يقلب الادوار .

دورا : لا بد ان تكون هناك مشكلة بالفعل ما دام الناس يتكلمون الان عن نساء دورا .. فالمرأة المرتدية السواد في « امرأة العصابات » لا تفعل شيئا . انها ترحب

بالمسافر وهي التي تدخله مجتمع المجانين وتحتفي به .. ما رأيك في ذلك ؟

ـ لا اشعر اني مؤهلة للحديث عن افلامك ، خاصة هذا الفيلم حيث اني شاهدته مرة واحدة . ولكن اذا رجعنا الى الرواية التي اخذ عنها الفيلم « نائب القنصل » فان المرأة هي التي تختار رجلها ، تحصل عليه ، ثم تتركه وتذهب الى الهند حيث تدير كل ما يحدث مع نائب القنصل. انها التي تتحكم في كل شيء . لول شتاين مثل آخر .. انها رائعة تنظم حياتها بنفسها وتقرر ما تريده وكيفية الحصول عليه ..

دورا : لان النساء يعرفن ما يردن .

ـ لكن كيف ؟ بالغريزة ؟

دورا : انهن يصغين الى مشاعرهن .. ان الرجال لا يعرفون كيف يفعلون ذلك . اني متأكدة من ذلك تماما .. والاكثر من ذلك ان هناك اشياء كثيرة تقوم بها النساء لا يستطيع الرجال ان يقومون بها .. واذا فعلوها سيعتقد الناس انهم مجانين .

ـ هل تشعرين انك تملكين ذكاء خاصا ينبعث نتيجة لتركيبك البيولوجي ؟

دورا : اشعر اني استغله بأقل درجة ممكنة . اني استخدم ذكائي لاكشف الاكاذيب . .وبالنسبة للباقي فاني ادعه يحدث .

ـ احد الاشياء التي تضايقني في تصورك عن ذكاء المرأة هو ان الرجال يشاركونك هذا التصور منذ قرون ... وفرويد خاصة .. وهذا يجعلنا اكثر محدودية .

دورا : انهم لا يتكلمون عن الذكاء النوعي .. ولكن عن الحدس وذلك شيء مختلف .

ـ ولكنك حينما تتحدثين عن ذكاء سيولد فذلك لا يشكل تحديا لمفهوم الانوثة .

دورا : اسمعي .. حينما يقول الرجال ان المرأة تمتلك ذكاء نوعيا خاصا بها فانهم يقولون ذلك كنوع من الاحتقار لذلك الذكاء . ولكني اعتقد ان ذلك حقيقي .. فالمرأة رغم كل شيء تمتلك ذكاء خاصا بها وبتركيبها العضوي .. كل النساء .

ـ لماذا ؟ ذلك ما اريد ان اعرفه .

دورا : لان ذكاء المرأة لم يستخدم حتى الان .

ـ اذن لا علاقة بنوعية ذكائها بتركيبها البيولوجي ؟

دورا : من يعرف ؟ حينما يقول رجل ما « انا عندي طفل » فاني اشعر ان جملته الخبرية هذه تبعث على السخرية ...

ـ هل يعني ذلك ان الرجل لا يحب بنفس القدر كالمرأة وانه ليس حساسا او معطاء او اصيلا كالمرأة ؟ هل لان المرأة تستطيع الحمل والانجاب يمكننا من القول ان ذلك يحدد طبيعة شخصيتها ؟

دورا : ليست تلك هي المشكلة . يبدو انك تقولين ذلك لان الرجال يرددونه ، ربما يكون صحيحا وربما يكون خاطئا ، لكنهم حينما يقولونه ... يقولونه بازدراء .. واذن ما يجب علينا ان نغيره هو نظرة اولئك الرجال الذين يقولونه .

ـ وانت تقولينه باعجاب واحترام ..

دورا : بل وبأكثر من ذلك .. انا اطلب ان يعتبر ذكاء المرأة مبدأ ساميا تقاس الامور بالنسبة اليه .. وحينما اقول ان الرجل يملك ذكاء نظريا فاني اقوله مستهزئة دائما .

ـ وتعتقدين ان المرأة لم تستخدم ذكاءها بعد .

دورا : او حتى صمتها .. ان الصمت عند المرأة .. اذا سقط فيه شيء ما يكون له صدى هائل .. بينما عند الرجل لم يعد يوجد مثل هذا الصمت .

ـ ولماذا تملكه المرأة ولا يملكه الرجل ؟

دورا : لان المرأة تخلق في الصمت .

ـ لماذا ؟

دورا : لان الرجال وضعوا مبدأ القوة الذكورية ، وكل شيء حولهم يرونه ينبثق من هذه القوة بما فيه الكلمات . كلمات من جانب واحد تعزز صمت المرأة . وفي رأيي ان المرأة لم تعبر عن نفسها في اي موضوع . الامر بالضبط كما لو تسألينني لماذا لا يوجد كتاب او موسيقيون من بين العمال ؟ لا يوجد .. بالضبط كما لا يوجد مؤلفات موسيقيات بين النساء . لكي تكوني مؤلفة موسيقية لا بد ان تمتلكي حريتك كاملة .. فالموسيقى نشاط زائد .. انها جنون .. جنون مقبول بحرية مطلقة .

ـ اذن فصمت المرأة مفروض عليها من الرجل ؟

دورا : بالطبع .

ـ فعلى النساء اذن ان يجدن الرد الخاص بهن ؟ فذلك هو المهم .. انني شخصيا لم اعد اهتم بالكتب التي تتحدث عن النساء ويكتبها الرجال حتى لو اقتنعت بموضوعيتهم . انني لا اجد آراءهم مناسبة .. واعتقد ان المرأة يجب ان تكتب عن المرأة حتى لو لم تتقن ذلك تماما .. لكنه كفاحها وهي على طريق ايجاد الرد وعلى الرجال ان يتبعوها .

دورا : ذكرني هذا بشيء اوصلني الى نفس النتيجة . قلت مرة لصديق حميم « ارجوك لا تقل شيئا حينما نتكلم عن انفسنا » . فغضب وقال لي « انت لا تعطيني فرصة لكي اتغير » . فأجبته : « انت لا تستطيع ان تتغير حتى يتغير كلانا » وسألته « هل تتخيل ان تكون اسود ؟ » قال « بالتأكيد » فقلت « المرأة لا يمكن ان تعطي تلك الاجابة .. والان هل تستطيع ان تتخيل انك امرأة ؟ » فأجاب : « بالتأكيد » فقلت له : « وهو كذلك .. ابق هادئا . » ما يجب عمله الان ـ لانه لم يعمل بدرجة كاملة . ـ هو ان نحلل اسباب كراهية الرجال لانطلاق المرأة .

ـ اعتقد ان ذلك قد تم عمله .

دورا : صحيح .. لكن من رجال غير مخلصين .. اعتقد أن الرجال مرضى .. وفي رأيي انهم في حالة اكثر مدعاة للحزن من معظم النساء . الرجال محدودو الافق جدا في هذا الموضوع . وانه لامر غير عادي المدى الذي وصلت اليه محدوديتهم .

— الوضع اسوأ في امريكا على ما اعتقد .

دورا : لا .. انه نفس الوضع . هل تعرفين رأي Michelet * عن الساحرات . انه رائع (على فكرة انا اعتقد كمعظم الناس ، على ضوء الرسائل واليوميات ، انه لم يكن يحيا حياة جنسية عادية ، وقد كان ذلك بالتأكيد في صالحه .) يقول انه في العصور الوسطى حينما كان اللوردات يذهبون الى الحرب او الحروب الصليبية ، كانت النساء تمكثن وحيدات جائعات لاشهر عديدة في المزارع ووسط الحقول . فبدأن ببساطة يتحدثن الى كل ما يوجد حولهن من اشجار وحيوانات وغابات وانهار ، ربما ليكسرن الملل وينسين الجوع والوحدة . فأحرقهن الرجال. قالوا : انهن في تواطؤ مع الطبيعة .. واحرقوهن . ومن هنا بدأ عصر الساحرات . واضيف — على مسؤوليتي الشخصية — ان ما فعلوه كان عقابا لاولئك النسوة لانهن ابتعدن قليلا عن الرجال . فالمرأة التي بدأت تتصل بالطبيعة — كما لو ان ذلك يحدث بالضغط الازموزي — قد اخذت جزءا من نفسها بعيدا عن رجلها ، وهكذا قتلهن الرجال عقابا لهن .

ذلك الجنون — الحديث الى الحيوانات والاشجار — ذلك الجزء من انفسهن الذي يختنق ويتفجر ويدفع الى ذلك التحول — تجدينه في كل النساء . انه ما اسميه عصابهن . العصاب في المرأة قديم جدا — عمره الاف السنين — وفي رأيي ان كل النساء عصابيات . ولقد اعتدن على هذه التصرفات . وكثير من التصرفات التي تجدها الواحدة منا عادية تعتبر عصابية في رأي الرجل . بالطبع النساء يعبرن عن هذه العصابية بطريقة مختلفة هذه الايام . فلم يعدن يتحدثن الى الحيوانات والاشجار — لانهن جزئيا لسن وحدهن ، — وان كن في الحقيقة وحيدات تماما في بؤسهن وراحتهن ، في احيائهن الفقيرة والغنية ، في وظائفهن كزوجات سواء كن اغنياء او فقراء .. انهن وحيدات كما كن من قبل وفي كل مكان . ولقد وجد جنونهن له تعبيرات اخرى لكنه لا يزال موجودا .. انه لا يزال نفس الجنون .

— توجد اليوم ايضا نساء كثيرات يتحولن بعيدا عن الرجال .. ليس تجاه الاشجار بالطبع ولكن تجاه نساء اخريات .. او تجاه حياة العزوبة .

دورا : تلك مشكلة كما تعرفين . بالنسبة لي لقد احببت الرجال فقط . وجنسيا ، فان لي تجربة عاطفية قوية مع الرجال . كان لي عشاق كثيرون ، عرفت العاطفة والهوى الحقيقي . توجد نساء كثيرات في فرنسا يرغمن انفسهن على نسيان الرجال ، لكنا بذلك نشهد نوعا من تناقض الغريزة الجنسية ، ليس تناقضا حقيقيا ، فالغريزة الجنسية لا زالت موجودة ، انه تناقض في الرغبة الجنسية .. واعتقد ان ذلك خطأ . لماذا نسير في اتجاه ضد الطبيعة البشرية ؟ لماذا نحاول تغييرها ؟

— كما فهمت فان هؤلاء النسوة يرين انه من الطبيعي ان يكن ثنائيات الجنسية Busexual لكني اعتقد ايضا انه من الخطأ ان يرغم الانسان نفسه للسير في اي اتجاه .

دورا : خطأ تماما .

— ولكني ارى منطقهن .. ان في العلاقة بين امرأتين لا يوجد نفس الضغط كما في العلاقة بين رجل وامرأة .

دورا : لقد كانت لي تجارب مع النساء .. ولكنها كانت دائما ايجابية .. بيد انها غير كافية على الاطلاق . بعد يومين افتقدت الرجال . كل المطلوب منا ان نتبع طبيعتنا في اي مكان ، وذلك ما تمنحه الطبيعة لنا . ان نساء اليوم لسن في حالة طبيعية ، على النساء ان يتصرفن وفق طبيعتهن اكثر واكثر في حياتهن اليومية ، بكبرياء ، وكل حاجز يسقط يكون مكسبا لهن . يجب على المرأة ان تعلن رأيها . ان تكون جريئة . عليها ان تقول « لا .. لن اعمل اليوم . » عليها ان تقول للرجل « ان ما تقوله يبعث في الملل .. ذكاؤك لا يهمني ولا اعرف لمن توجهه .. لكنه ليس لي .. انه يملني .. انا ملولة منكم » . على النساء ان يعتزلن مجتمع الرجال — انا اتكلم عن عملية يومية — حينما يشعرن بأنهن على غير ما يرام يجب ان يغادرن .

— لقد بدأ يحدث ذلك .

دورا : سيجد الرجال انفسهم وحيدين . ولكن بمجرد ان تتصرف المرأة وفق طبيعتها .. حينما لا تلبس القوالب الجاهزة التي يفصلها لها الرجل .. وحينما تضع نفسها خارج وظيفة الدلال .. فان الرجال يدعونها شاذة .

— بمجرد ان تفكر المرأة .. يسمونها شاذة .

دورا : ها انت ترين هذه المعاملة الساذجة .. ان هذا غريب .. الرجال في الواقع سذج ... حقيقة .. ان الاشياء التي من الممكن ان يقولها لك الرجل مضحكة .. كان لي مرة عشيق قال لي : « اني احبك جدا .. لكنني كنت احب ان تكوني اقل ذكاء واكثر جمالا .. » .

— وماذا قلت له .. ؟

دورا : كنت مغرمة به جدا .. احتفظت به .. سألته « لماذا تبقى معي اذا كنت تحب النساء الجميلات فقط ؟ » .

— لماذا كنت في موقف الدفاع ؟

---

* الارجح انها تشير الى المؤرخ الفرنسي Jules Michelet (١٧٩٨-١٨٧٤) ، من أهم مؤلفاته :
- تاريخ فرنسا في ١٧ مجلدا ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مقدمة التاريخ العالم ، اصول القانون الفرنسي . المترجم

دورا : عادة قديمة .. اكتسبتها المرأة مع الزمن .

ـــ هناك شيء اخر اود ان اسألك عنه .. لان هناك مشاعر قوية تجاهه في امريكا .. ما رايك في الحمـــل والامومة بالنسبة للمرأة ؟ اعرف انه في رواياتك .. كـل شخصياتك النسائية تقريبا لهن اطفال وان العلاقة بيـن الام وطفلها قوية جدا . كيف يتوافق هذا مع ارائك في المرأة عموما ؟

دورا : قضية الاطفال مملوءة بالاشراك . انها ارض خطرة . والنساء اللواتي يتكلمن عنها اكثر لا يملكن اطفالا في الغالب ، واولئك اللواتي لهن اطفال يجدن الحديث عن الموضوع صعبا بل مستحيلا . وكلما سمعت عن نسـاء يتحدثن عن مشاكل الامومة وليس لهن اطفال .. ابتسم . ابذل جهدي لاخذ كلامهن على محمل الجد .. لكني لـم انجح بعد . انهن كمن يحاولن وضع قوانين للعاطفـة او الحب او الجنون . ان يعطين قانونا لما هو انتهـاك لكل قانون . لماذا لا نشجع النساء في ان يقبلن دون نقاش الحب الجنوني (حب الام لطفلها) لانه ببساطة موجود .. وهو جوهر الامومة ، هل يرون ان التحرر من تبعـة الامومة والقيود الوهمية التي تتضمنها .. يجعلهـن يشعرن بأنهن مثل الرجال ؟ اعتقد ان ذلك هو السبب . ولكن اذا قلت بأن الرجال مرضى بسبب هذه الامومة .. انهم لا يملكون الفرصة الوحيدة المتاحة لانسان ان يجرب انبثاق اخر منه .. ان الرجل هو الذي صور الامومـة كعبء هائل . وبالنسبة لي فان اهم الاسباب التي يعتمد عليها في ذلك تبدو سطحية لان لها علاجا . وحتى لو كان الرجال مسؤولين عن هذه الصيغة العبودية للامومة كما يصورونها .. هل يكفي هذا لكي نلعن الامومة نفسها ؟ في اساس القضية ـــ اساسها العميق ـــ احمل اجـلالا للذكورة .. ذلك امر مسلم به ، لكن لم يصبح الرجال على ما هم عليه اليوم نتيجة لان المرأة مقيدة بالامومة ، انهـم احسوا ان عقبة في طريقة حريتهم قد ازيلت ـــ الامومة ـــ فأضافوها الى رصيدهم . من الممكن ان اعيد نفس الجملة السابقة مع عكس المعنى : ان الرجال هم على ما هـم عليه اليوم بسبب انهم لا يملكون خوض تجربة مثـل الامومة .

ـــ ولكن ذلك حقيقي .. ان هذه العقبة (الامومة) التي ازيحت من طريق امتلاكهم لحريتهم هي نفسها التي حددت امكانيات المرأة .

دورا : عندي شك خطير في ذلك ، فالنساء ـــ حتى بلا وعي ـــ يربطن بين امومتهن وبين مقدرتهن الحقيقيـة في التعامل مع الامور المجردة كالرجل . فالمرأة تقول لنفسها انه بسبب اعتنائها بالطفل قد دفنت ، وابعدتها هـذه الرابطة ان تكون فيلسوفة مثلا .. ولكن كم هو زائـف وطفولي هذا الامر ، حينما تفكرين بالامر على ذلك النحو فانك تتكلمين كرجل .

اعتقد ان المرأة اكثر شمولية من الرجل ، وانهـا تستطيع معايشة الافكار اكثر منه . في ذلك انت لا عزاء لك .. لانك لا تتكلمين ، واذا تكلمت فبطريقة يحكم عليهـا الرجل بأنها غير وافية وغير ملائمة . المرأة تتوق لطريقة الرجل في الحديث والكتابة ، وغالبا في اتهامها للرجـال وفي تحليلها لهم فانها تلجأ الى مفهوم نظري خاص بالرجل .. واكثر من ذلك .. فالعديد من النساء يسعين الى كسب استحسان الرجل .

فاذا كان للنساء طريقتهن الخاصة بهن في الحديث والكتابة ـــ وهن يملكن جبالا منها في داخلهن ـــ واذا كانت كافية للبدء في التعبير بهذه اللغة الخاصة ، بنظرياتهـم وتصوراتهم الخاصة .. فلماذا لا زلنا نخاف من السيد .. الرجل .. ومن حكمه علينا ؟ ما دام هذا الخوف لـدى النساء فلن يتقدمن . ولكنني اعتقد ان المستقبل لهـن . لقد ازيح الرجل عن عرشه تماما .

ان ادب وفن الرجال مبتذل ومستهلك . يجب ان نتحرك لفن وادب المرأة الراسخ في كيانها الحي .. في جسمها .

صدر حديثاً

التراث الفلسطيني والطبقات

تأليـف

علي الخليلي

« غاية هذه الدراسة ، في الاساس ، مساهمتها في تكريس التراث الشعبي العربي الفلسطينـي داخـل نمو الثورة وتصاعدها .. واداة الدراسة المركزيـة هي الامثال الشعبية الفلسطينية باعتبارها جزءا اساسيا من التراث الشعبي الفلسطيني ... وهي تؤكد القدرة الفذة لمجتمعنا العربي الفلسطيني علـى الصمـود والحيوية والنمو والتطور طالما هو محتفظ بتراثـه الشعبي ، هذا التراث الذي تحـاول الامبرياليـة والصهيونية ، متساندتين متلاحمتين ، قتله وتدميره ، انكارا لوجود شعب فلسطيني .. ولذلك فان كل احياء واثراء ونشر وتعميق وتحليـل للتراث الشعبـي الفلسطيني بكافة اشكاله والوانه هو دعم للثورة وتكريس لها ، كما انه اضاءة للمنافي الفلسطينية ولحمة لها ..»

ـــ من المقدمة ـــ

منشورات دار الآداب